

الأستاذة: عدّاد راضية.

علاقة النقد الأدبي بالانثروبولوجيا : قراءة في المفهوم ومجال البحث

مقدمة:

إنّ المتأمل لواقع الأدب حاليا يجده تجسيدا لهواجس وتقلبات معترك الحياة ، ففيه نقل لحشيات الواقع المعيش سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة ؛ وعملية النقد المرتبطة بالأدب تعتبر ابداعا في حد ذاتها على أن لا تنفي النص ، لكن النقد ك ممارسة وكآلية فعالة لقراءة النص بأبعاده ، يحتاج إلى علوم أخرى يمكن أن يثبت فعالته من خلالها بل أبعد من ذلك تمكّنه من الخروج من بوتقة القديم والبحث عن الجديد، هذا الجديد ما هو إلا رؤية في النص من خلال إيجاد علاقة النقد الأدبي بمختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية والتجريبية ، وفي سياق هذا البحث عن هذه التقاطعات جاءت هذه المداخلة ، لمحاولة التقريب بين النقد الأدبي و الانثروبولوجيا ؛ فما هو هذا العلم - بمختلف تسمياته - وما علاقته بالأدب ونقده ؟ وكيف تسهم هذه العلاقة في تطور النقد أو بالمعنى البسيط ماذا تضيف الانثروبولوجيا للنقد الأدبي؟

للإجابة عن هذه الأسئلة تمّحت خطة لكي لا أجاوز الموضوع فيها مايلي :

- مفهوم الانثروبولوجيا .
- تاريخ الانثروبولوجيا.
- أهداف الانثروبولوجيا.
- بين الإناسة والنياسة والناسوت.
- الانثروبولوجيا العربية.
- النقد والتأقيد.
- بين النقد الأدبي و الأنثروبولوجيا .

• النقد الثقافي.

• خاتمة .

فقد ركزت على الانثروبولوجيا أكثر ؛ فنطلقت منها للوصول إلى النقد الأدبي ، من خلا إيجاد نقاط التقاطع بينهما ، وعليه انبت هذه المحاولة كلها.

ومن باب الفضيلة والامتنان أشكر القائمين على هذا الملتقى ، ابتداء من رئيس الجامعة إلى أبسط عامل ساهم في نجاح الملتقى ؛ دون أن أنسى اللجنة العلمية والتنظيمية ، لسماحهم لي بالاستفادة بالدرجة الأولى من الملتقى وكذا المساهمة في اثراته ولو بفكرة بسيطة ؛ فشكرا .

• الأنثروبولوجيا:

انقسمت - في القرن العشرين- التخصصات الأكاديمية مؤسسيا إلى ثلاث مجالات واسعة⁽¹⁾:

• العلوم الطبيعية والبيولوجية: وهي تسعى لاستخلاص القوانين العامة من خلال التجارب القابلة للتكرار والتحقق.

• العلوم الإنسانية أو الإنسانية: عموما تدرس التقاليد المحلية، من خلال التاريخ، الأدب، الموسيقى، الفن، مع التركيز على فهم الأفراد بصفة خاصة، والأحداث أو العصور.

• العلوم الاجتماعية: والتي تحاول عموما تطوير الأساليب العلمية لفهم الظواهر الاجتماعية في وسيلة للتعميم ؛ فالعلوم الاجتماعية في كثير من الأحيان تضع مواصفات إحصائية بدلا من القوانين المستمدة عامة في الفيزياء والكيمياء أو أنها قد تفسر حالات فردية من خلال المزيد من المبادئ العامة ، كما هو الحال في العديد من مجالات علم النفس.

¹ - ورد هذا التقسيم عند الرشتاين إيمانويل في كتابه "الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع، وغيرها من التخصصات للربة". ص 466.

في حين نجد الأنثروبولوجيا لا يمكن حصرها بسهولة إلى مجال معين ، رغم ميل كثير من العلماء إلى ضمها إلى العلوم الاجتماعية فهي تجمع بين مختلف التقسيمات، بالنظر إلى فروعها ومجالات الدراسة فيها ولفهم هذا سنتطرق إلى معنى الأنثروبولوجيا من خلال مختلف العلماء الذين بحثوا فيها .

* مفهوم الأنثروبولوجيا :⁽¹⁾

لفظة أنثروبولوجيا **Anthropology** : هي كلمة إنكليزية مشتقة من الأصل اليوناني المكوّن من مقطعين : أنثروبوس **Anthropos**، ومعناها " الإنسان " و لوجوس **Locos** ، ومعناها " علم "

فيصبح معنى الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ " علم الإنسان " أي العلم الذي يدرس الإنسان، فهو علم يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة، ويقوم بأعمال متعددة، ويسلك سلوكاً محدداً؛ وهو أيضاً العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمداً على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل . تعريف آخر: "علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً " وهو المفهوم المستعمل على المستوى العربي ؛ أي أنّ الأنثروبولوجيا لا تدرس الإنسان ككائن وحيد بذاته، أو منعزل عن أبناء جنسه، إنّما تدرسه بوصفه كائناً اجتماعياً بطبعه، يحيا في مجتمع معين له ميزاته الخاصة في مكان وزمان معينين .

فالأنتروبولوجيا بوصفها دراسة للإنسان في أبعاده المختلفة، البيوفيزيائية والاجتماعية والثقافية، فهي علم شامل يجمع بين ميادين ومجالات متباينة ومختلفة بعضها عن بعض، اختلاف علم

¹ - www.wikipedia.org : علم الإنسان، تاريخ التصفح : 2008/09/12 الساعة : 12:42 .

التشريح عن تاريخ تطوّر الجنس البشري والجماعات العرقية، وعن دراسة النظم الاجتماعية من سياسية واقتصادية وقراطية

ودينية وقانونية، وما إليها .. وكذلك عن الإبداع الإنساني في مجالات الثقافة المتنوعة التي تشمل : التراث الفكري وأنماط القيم وأنساق الفكر والإبداع الأدبي والفني، بل والعادات والتقاليد ومظاهر السلوك في المجتمعات الإنسانية المختلفة، وإن كانت لا تزال تعطي عناية خاصة للمجتمعات التقليدية .

تعريف تايلور:

"هي الدراسة البيوثقافية المقارنة للإنسان " إذ تحاول الكشف عن العلاقة بين المظاهر البيولوجية الموروثة للإنسان، وما يتلقاه من تعليم وتنشئة اجتماعية .

على هذا نقول أن الأنثروبولوجيا علم يهتم بكل أصناف وأعراق البشر في جميع الأوقات، وبكل الأبعاد الإنسانية. فالميزة الأساسية التي تميز علم الإنسان بين كافة المجالات الإنسانية والاجتماعية الأخرى هو تأكيده على المقارنات الثقافية بين كافة الثقافات. هذا التميز الذي يعتبر أهم خاصيات لعلم الإنسان، يصبح شيئا فشيئا موضوع الخلاف والنقاش، عند تطبيق الطرق الأنثروبولوجية عموماً في دراسات المجتمع أو المجموعات. من أهم علماء الأنثروبولوجيا: ايفانس بريتشارد ورادكلف براون وليفي شتراوس وروث بندكت و ماكريت ميد وغيرهم.

* أقسام الأنثروبولوجيا(1):

هناك تقسيمات كثيرة وتشعبات لا حصر لها في الأنثروبولوجيا ، وذلك حسب مجال الدراسة لكل نوع وحسب منطلقات التفكير بالنسبة لأصحاب هذه التقسيمات لكن المجال لا يسمح لإدراج كل التقسيمات فسأذكر التقسيم التالي والذي يتقاطع في معظمه مع التقسيم الأمريكي:

الأنثروبولوجيا الحيوية أو الطبيعية أو الفيزيائية: يتطرق هذا الفرع إلى تحليل تنوع جسم الإنسان في الماضي والحاضر على حد سواء. وبالتالي فهو يدرس التطور الجسماني للإنسان

بالإضافة إلى العلاقات بين الشعوب الحالية وتأقلمها مع محيطها. تطرّق هذا العلم في بعض الأحيان إلى دراسة تطور الرئيسيات وكان يسمى علم الإنسان الطبيعي مع وجود اختلافات في المفاهيم. حيث يعني هذا الأخير **physical Anthropology** ، الذي يدرس الرئيسيات **primatology** ، و تطور النوع البشري **human evolution**، وعلم الوراثة الجماعي **population genetics** ؛ هذا الحقل يدعى أيضاً أحياناً علم الإنسان الحيوي **biological anthropology** .

الأنثروبولوجيا الاجتماعية: وتتركز الدراسات فيها على المجتمعات البدائية. ومُنذ الحرب العالمية الثانية أخذت تدرس المجتمعات الريفية والحضرية في الدول النامية والمتقدمة. فتدرس البناء الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية والنظم الاجتماعية مثل العائلة، والفخذ، والعشيرة، والقراية، والزواج، والطبقات والطوائف الاجتماعية، والنظم الاقتصادية، كالإنتاج، والتوزيع، والاستهلاك، والمقايسة، والنقود، والنظم السياسية، كالقوانين، والعقوبات، والسلطة والحكومة، والنظم العقائدية، كالسحر والدين. كما تدرس النسق الإيكولوجي. (1)

يهتم فرع الأنثروبولوجيا الاجتماعية بتحليل البناء الاجتماعي للمجتمعات الإنسانية وخاصة المجتمعات البدائية التي يظهر فيها بوضوح تكامل ووحدة البناء الاجتماعي، وهكذا يتركز اهتمام هذا الفرع بالقطاع الاجتماعي للحضارة، ويتميز بالدراسة العميقة التفصيلية للبناء الاجتماعي وتوضيح الترابط والتأثير المتبادل بين النظم الاجتماعية " النظرية الوظيفية" للعلامة "راد كليف براون"، وأساسها إن النظم الاجتماعية في مجتمع ما، هي نسيج متشابك العناصر - يؤثر كل عنصر في العناصر الأخرى، وتعمل تلك العناصر على خلق وحدة اجتماعية تسمح للمجتمع بالاستمرار والبقاء، ولا تهم الأنثروبولوجيا الاجتماعية المعاصرة بتاريخ النظم الاجتماعية، لأن تاريخ النظام

¹ الحوار المتمدن - العدد: 2457 - 11 / 6 / 2008 : ما هي الأنثروبولوجيا: إبراهيم الساعدي

عن د. شاكر مصطفى سليم: المدخل إلى الأنثروبولوجيا، مطبعة العاني، 1975، ص 7.

الاجتماعي لا يفسر طبيعته وإنما تفسر تلك الطبيعة عن طريق تحديد وظيفة النظام الاجتماعي الواحد في البناء الاجتماعي للمجتمع. (1)

الأنثروبولوجيا الثقافية **cultural anthropology** : (و يدعى علم الإنسان الاجتماعي **social anthropology** في المملكة المتحدة والآن في أغلب الأحيان يعرف بعلم الإنسان الثقافي-الاجتماعي **socio-cultural anthropology**). المجالات التي درست من قبل علماء الإنسانيات الثقافيين تتضمن شبكة العلاقات الاجتماعية، الانتشار البشري **diffusion** ، السلوك الاجتماعي، القرابات الاجتماعية ، القانون، السياسة، العقيدة **ideology** ، الدين، الاعتقادات، الأنماط في الإنتاج والاستهلاك، التبادل، التربية، الجنس الاجتماعي **gender** ، وممارسات الشعوب الأخرى في الثقافة، مع التأكيد القوي على أهمية العمل الميداني، ومعنى آخر: المعيشة بين المجموعة الاجتماعية التي تُدرس لفترة زمنية طويلة. وتدرس مُختبرات الشعوب البدائية، وأدواتها، وأجهزتها، وأسلحتها، وطرز المساكن، وأنواع الألبسة، ووسائل الزينة، والفنون، والآداب، والقصص، والخرافات، أي كافة إنتاج الشعب البدائي المادي والروحي. كما تركز على الاتصال الحضاري بين الشعب ومن يتصل به من الشعوب. وما يقتبسُ منهم، والتطور الحضاري، والتغير الاجتماعي.

الأنثروبولوجيا اللغوية **linguistic anthropology**: الذي يدرس الاختلاف في اللغة عبر الوقت والمكان، الاستعمالات الاجتماعية للغة، والعلاقة بين اللغة والثقافة. علم الآثار **archaeology** : الذي يدرس البقايا المادية للإنسان في المجتمعات. علم الآثار يعتبر علما بمحد ذاته يفصل كحقل دراسة مستقل، بالرغم من أنه وثيق الصلة مع الحقل

¹ الحوار المتمدن - العدد: 2457 - 2008 / 11 / 6 : ما هي الأنثروبولوجيا: إبراهيم الساعدي

عن د. عاطف وصفي: الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ط 2، دار النهضة العربية - بيروت، 1981، ص 10 - 12

الأنثروبولوجي من حيث دراسة الثقافة المادية **material culture** ، التي تتعامل مع الأجسام الطبيعية التي خلقت أو استعملت ضمن مجموعة حية راهنة أو ماضية كمحاولة لفهم قيمها الثقافية.

* تاريخ علم الإنسان(1):

ميز عالم الإنسانيات إيريك ولف علم الإنسان على أنه الأكثر علمية من بين جميع العلوم الإنسانية، والأكثر إنسانية من بين جميع علوم الاجتماعيات . و استعراض تاريخ تطور علم الإنسان سيساعد كثيرا في إدراك مدى تكيفه مع كافة المجالات و الحقول البحثية. يدعي علماء الإنسانيات أن عددا من المفكرين الأوائل هم السابقون لإيجاد علم الإنسان و أن علم الإنسان متعدد المصادر والمشارب ، لكن يبقى من الأفضل تحديد نشأة علم الإنسان على أنه ثمرة عصر التنوير و النهضة ، العصر الذي بدأت فيه محاولة الأوروبيين لدراسة السلوك البشري بشكل نظامي يخضع لقواعد و أنظمة فقاموا بدراسة التقاليد و الشرائع، و التاريخ، و علم فقه اللغة و علم الاجتماع ؛ في ذلك الوقت تطورت العلوم الاجتماعية بشكل عام و من بينها علم الإنسان . في نفس الوقت أتت ردة الفعل الرومانسية على التنوير التي أنجبت بعض المفكرين مثل هيردر ولاحقا وليم ديلتي الذين أسسا مفهوم الثقافة الذي سيحتل موقعا مركزيا في علم الإنسان . هذه العلوم بمجملها كانت تحاول أن تحل إحدى أهم المعضلات التي تطرحها الحداثة : ففي حين أن العالم يصبح أصغر و أكثر ترابطا ، نجد أن خبرات الأفراد تتشظى و يصبحون أكثر فردية و انعزالية و هذا ما سجله مبكرا كارل ماركس و فريدريك أنجلز ؛ و بدل أن يؤدي ذلك الترابط العالمي إلى مزيد من التضامن الإنساني كانت تزيد النزعات العرقية و الطائفية و الدينية من انقسام البشر و تمايزهم .

من الواضح أن علم الإنسان بدأت جذوره من التاريخ الطبيعي ، الذي كان يدرس طبيعة المجتمعات البشرية في المستعمرات الأوروبية ، فكان الباحثون يفتشون في جميع نواحي الحياة و

¹ www.wikipedia.org : علم الإنسان، تاريخ التصفح: 2008/09/12 الساعة: 12:42 .

الثقافة في هذه المستعمرات بالتوازي مع تغطية و تصنيف الممالك الحيوانية والنباتية في هذه المستعمرات ، و ربما كانت هذه النشأة هي ما يجعل الكثيرين يربط بين الأنثروبولوجيا و الاستعمار و الإمبريالية باعتبار الأنثروبولوجيا أداة استعمارية للتحكم بشعوب المناطق المحتلة . يمكن أن نسجل أن نشوء هذا العلم حدث بالترافق مع ميل في عصر التنوير في القرن الثامن عشر لدراسة المجتمعات البشرية كظاهرة طبيعية تعتمد على مبادئ بسيطة بمثابة قوانين طبيعية تحكم تحركها و تغيراتها و يمكن رصد متغيراتها تجريبيا .

تطور علم الإنسان لاحقا بشكل مستقل ليكون علما يحاول قدر الإمكان أن يكون تجريبيا مستقلا شأنه شأن بقية العلوم مما أفرز لاحقا بعض علماء الإنسان الذين يتمتعون بتعاطف كبير مع الشعوب الفقيرة المستعمرة . علم الإنسان أيضا تطورت مناهجه بالترافق مع المناهج البحثية لبقية العلوم الإنسانية و يعتبر من أوائل العلوم التي طبق ضمنها كلود ليفي شتراوس مناهج البنيوية ما يعرف بالبنيوية الأنثروبولوجية، و من ثم ما بعد البنيوية و بالتالي ارتبط مع المدارس الفكرية الحداثية و ما بعد الحداثية .

*أهداف دراسة الأنثروبولوجيا (1):

استناداً إلى مفهوم الأنثروبولوجيا وطبيعتها، فإنّ دراستها تحقّق مجموعة من الأهداف، يمكن خصرها في الأمور التالية :

1 وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفاً دقيقاً، وذلك عن طريق معايشة الباحث المجموعة أو الجماعة المدروسة، وتسجيل كلّ ما يقوم به أفرادها من سلوكات في تعاملهم، في الحياة اليومية.

2- تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوّري الحضاري العام للإنسان : (بدائي- زراعي- صناعي - معرفي - تكنولوجي)

- 3- تحديد أصول التغير الذي يحدث للإنسان، وأسباب هذا التغير وعملياته بدقة علمية .. وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة، وإيجاد عناصر التغير المختلفة.
- 4- استنتاج المؤشرات والتوقعات لاتجاه التغير المحتمل، في الظواهر الإنسانية / الحضارية التي تتم دراستها، وبالتصوّر بالتالي لإمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة .
- الإناسة والنياسة والناسوت:

بالنسبة لغير المختص في الأنثروبولوجيا ، وكذا غير المطلع عليها ، أن يتساءل عن هذه المصطلحات و علاقتها بهذا العلم ؛ لذا آثرت الإشارة إليها لأنها مهمة جدا:

• الإناسة: دراسة الإنسان (الأنثروبولوجيا) ، واستخدم هذا المصطلح عند جاك لومبار في كتابه :مدخل إلى الأنثولوجيا؛ ونجد هذا المصطلح في بريطانيا مجتمعي:

social anthropology، أمّا في أمريكا فتقاي: **Cultural anthropology**، أي طبيعة دراسة الأنثروبولوجيا في كلّ دولة ؛فهناك تفاوت في تعامل الثقافات المختلفة مع الأنثروبولوجيا:

فالشعوب الناطقة باللغة الإنكليزية جميعها، تطلق على علم الأنثروبولوجيا " : علم الإنسان وأعماله "

بينما يطلق المصطلح ذاته في البلدان الأوروبية غير الناطقة بالإنكليزية، على " دراسة الخصائص الجسمية للإنسان ."

كذلك هناك اختلاف حول طبيعة اهتمامات هذا العلم داخل الثقافة الغربية:

*فهو يعني في أوروبا، الأنثروبولوجيا الفيزيكية، فمثلا علماء فرنسا يعنون بهذا المصطلح: "دراسة الإنسان من الناحية الطبيعية"، أي " العضوية " وينظر إلى علمي الآثار واللغويات كفرعين منفصلين .

* أمّا أمريكا: فيرى العلماء أنّ الأنثروبولوجيا، هي علم دراسة الثقافات البشرية البدائية والمعاصرة

ويستخدمون مصطلح (الاثنولوجيا و الاثنوغرافيا) لوصف الاثنوغرافيا الثقافية والتي يطلق عليها البريطانيون الأنثروبولوجيا الاجتماعية.
* وفي إنكلترا : يطلق مصطلح الأنثروبولوجيا، على دراسة الشعوب وكيانها الاجتماعية، مع ميل خاص للتأكيد على دراسة الشعوب البدائية⁽¹⁾ .

- النياسة: تعني الاثنولوجيا: ومعناها دراسة الإنسان ككائن ثقافي أو هي دراسة السلالات والأعراق البشرية في أبسط أشكالها ثقافيا عن طريق المقارنة. عند ليفي ستروس : "تشكل خطوة أولى في طريق الجمع والتوليف التفسيري"⁽²⁾، و يقصد بالتوليف التفسيري مستويين ، أولهما: جغرافي، ويرمي إلى الجمع بين معارف متعلقة بجماعات متجاورة؛ وثانيهما: تاريخي، ويرمي إلى إعادة كتابة التاريخ بالنسبة لقوم معين أو عدة أقوام.⁽³⁾

- الناسوت: الجزء الوصفي من النياسة أو ما يعرف بالاثنوغرافيا: **ethnos** وتعني القوم أو السلالة أو العرق، و**graphein** تعني الوصف، ومعناها وصف الشعوب ؛ ويعتبر ليفي ستروس أن الناسوت هو: "المرحلة الأولى من العمل : مرحلة جمع المعطيات ، وهي مرحلة تستوجب القيام عادة بتحقيق ميداني"⁽⁴⁾

أما راد كليف براون فيرى أن الناسوت: " معاينة الظواهر الثقافية ووصفها خاصة عند الشعوب المتخلفة"⁽⁵⁾

¹ - www.wikipedia.org: علم الإنسان، تاريخ التصفح: 2008/09/12 الساعة 12:42 .

² - جاك لومبار: مدخل إلى الاثنولوجيا، ت: حسن قيسي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان. ط1

1997. ص16.

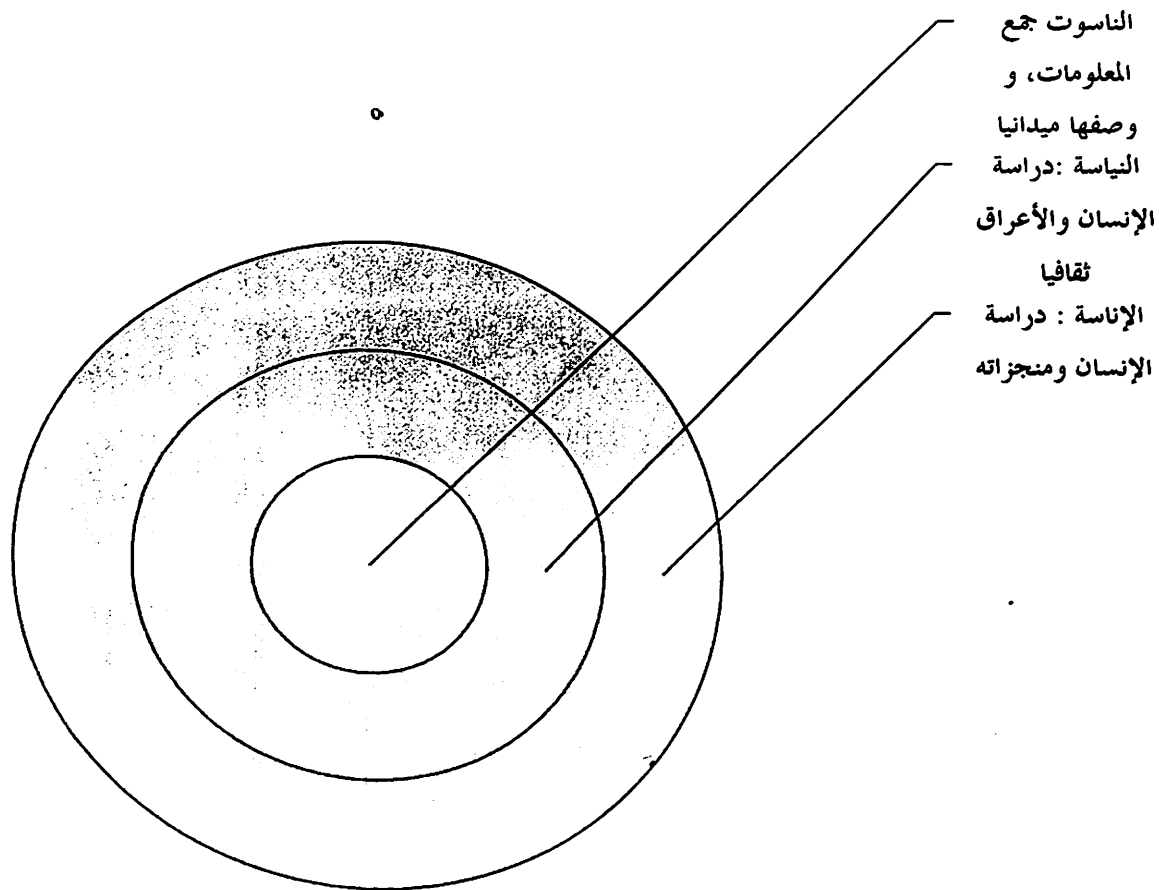
³ - ينظر المرجع نفسه ، ص19.

⁴ - المرجع نفسه ، ص12.

⁵ - المرجع نفسه، ص13.

ومن كلّ ما سبق ؛ وجب علينا الآن صياغة المعادلة التي تجمع هذه العناصر ، فنقول :

هذا التجسيد يأخذ بعين الاعتبار أننا ننطلق من الناسوت ، ثمّ النياسة ، وفي النهاية الإناسة وهذا بوصفها الكل وعلى على سبيل علاقة الاحتواء. (بمعنى أننا ننطلق من الاثنوغرافيا كمرحلة أولى لوصف الشعوب ثم نصل على الاثنولوجيا وهي التركيز على الجانب الثقافي والعرقي للشعوب ، لنختتم الاثنوبولوجيا كعلم عام)



* الأنثروبولوجيا العربية (1):

اشتغل كثير من الأساتذة الجامعيين في البلدان العربية بالمعطيات الأنثروبولوجية وقلدوا جوانب عديدة من ما ذهب إليه أنثروبولوجيون غربيون مختلفو الاتجاهات البحثية. وقد تم إنشاء قسم أكاديمي مستقل للأنثروبولوجيا بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، حيث اهتم كثير من الأنثروبولوجيون بالمجتمعات البدوية ونظمها التقليدية وتحولاتها في مصر، وفي البلدان العربية التي أعير لها كثير من الاهتمام، وآخر ما صدر في المكتبة العربية خلال عام 2008 من كتب في هذا الشأن هو كتاب الأستاذ الدكتور (محمد ياسر شرف) زميل أكاديمية يونيفرسال وهو بعنوان (أنثروبولوجيا العلاقات الدبلوماسية) الذي أسس فيه منذ ثلاث سنوات لهذا الفرع الحديث من الأنثروبولوجيا، وما زال يحاضر حول مضامينه ومشاغله في أكثر من بلد عربي، وخاصة الإمارات العربية وبلده سوريا وسلطنة عمان وبريطانيا، ويعتبر المرجع الشخصي والأكاديمي الرئيس في محتويات هذا الفرع العلمي وأطروحاته فهو الذي أطلق مصطلح (الأنثروبولوجيا الدبلوماسية) لأول مرة في تاريخ العلوم الإنسانية. ويأتي الدكتور/محمد أحمد غنيم بمؤلفاته العديدة في الأنثروبولوجيا العربية عامة والمصرية بصفة خاصة والتي تعد تشريح دقيق للمجتمع المصري ومن أحدث إصداراته: "المعتقدات والأداء التلقائي في موالد الأولياء والقديسين".

يكفينا تعريف عربي وهو التعريف الذي وضعه الدكتور شكري سليم في قاموس الأنثروبولوجيا

الصادر عام 1981

"أن الأنثروبولوجيا هي علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا و حضاريا"(2)

وعليه يمكن تحديد الأنثروبولوجيا في ثلاثة تخصصات رئيسة فقط وهي(قد سبق الإشارة إليها)

1-الأنثروبولوجيا الطبيعية.

¹ - منتدى اضاءات الالكتروني : الأنثروبولوجيا العربية ، تاريخ الاطلاع 2010/03/03 ، 19:20 .

² www.wikipedia.org علم الإنسان، تاريخ التصفح: 2008/09/12 الساعة: 12:42 .

2- الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

3- الأنثروبولوجيا الثقافية.

*التقّد والتّناقد:

في الحقيقة سأترك التعمّق في هذين المصطلحين لأهل الاختصاص ، ليفيدونا أكثر ، فهذه أحسن فرصة لذلك ، ففالأمر أنّي تخيّرت بعض الآراء التي جذبت انتباهي بصفتي متلقي لا مختص.

التقّد:

إنّ التقّد ظاهرة إنسانية ، تتمتع بجذور ضاربة في أعماق الوجود الإنساني ، فالتقّد ليس ظاهرة سطحية غامضة، كما كان يعتقد كثير من الباحثين، وهذه النظرة للنقد كانت وليدة النظرات السريعة التي نظر بها بعض النقاد إلى النقد حيث نجد: " أنّ كلّ ناقد يترع إلى أن يكون لديه صورة مجازية فارقة أو عددا من الصور يرى من خلالها عملية النقد" ⁽¹⁾ فتناول النقد كظاهرة إنسانية لم يكن تناولا علميا يعتمد التحليل والمقارنة التي من خلالها يصبح التقّد ضربا من السلوك الإنساني الأصيل بل أكثر من ذلك يصبح سلوكا ضروريا في حياة الإنسان على جميع الأصعدة ⁽²⁾.

ولقد أدخلت آليات القراءة - بمضامينها المعرفية الغزيرة أولا ثم بتقنياتها المنهجية ثانيا- عددا غير هين من الأضواء الكاشفة على الأدب فجعلت المعرفة المتصلة به - وهي النقد- أقرب إلى الضبط بفعل ما يتوسل به أصحابه من أدوات دقيقة، وبحكم ما يتخذه رواده المحدثون من تمايز في المتصورات وإحكام في المفاهيم وسبك في المصطلحات كثيرا ما تشارف حدّ الصرامة العلمية ³.

¹ الأثر: مجلة الآداب واللغات الأجنبية- جامعة ورقلة، عدد: 01، 2002. أ. بلقاسم مالكية: مفهوم التقّد

الأدبي في كتاب الوساطة للجرجاني. ص: 173.

² المرجع نفسه: ص 173.

³ عبد السلام المسدي: في آليات التقّد الادبي، دار الجنوب للنشر، تونس. 1994. ص: المقدمة. 9.

"...فالعلاقة التي تحكم التقد بالعمل الأدبي ، هي بمثابة علاقة المعنى بالشكل ، ولا يسع التقد أن يدعي (ترجمة) العمل الأدبي إلى صيغة أوضح ، إذ لا صياغة أوضح من العمل الأدبي ذاته..."¹.
لن أغوص في التقد لأن له أهله المتمكنين منه ، فهذه أیضاءات فقط عما مرّ بي من مغان للتقد وإن لم تكن عميقة ؛ فهي تؤدي المعنى ، وفيما يلي نشر أيضا للتأقد فمن هو التأقد:

1. التأقد:

"...يستحيل على التأقد أن يحل محلّ القارئ . ومن العبث أن يفيد التأقد من كونه يعبر صوتا محترما لقراءة الآخرين، دون أن يكون سوى قارئ فوّضه قراء آخرون التعبير عن مشاعرهم الخاصة ، للمعرفة الغالية التي اكتسبها، ولقدرته على الحكم، ومن العبث ألاّ يتصور حقوق الجماعة على العمل الأدبي. لأننا وإن حددنا التأقد قارئاً يقرأ، فذلك يعني أن القارئ يلقي في دربه وسيطا خطرا: الكتابة."²

إنّ التأقد هو صوت جرى يسمح لنفسه بالحكم على أصوات الآخرين، فلا يسمح بالخطأ، ويشير إلى الزلات، ويعيد الخراف الخارجة عن القطيع، وكلّ هذا من خلال قواعد ومناهج وضعت لتبقي الجمال متربعا على عرش الأدب، ولتحبي الذوق الذي يغازل هذا الجمال ، فيفكك النصّ الادبي دون ان يختل معناه بل العكس تنجلي المعاني وتظهر الجماليات؛ "فالتأقد يطالب بأن يمنح (رؤية) أو(أسلوبا)، بل أن يعترف الكلّ بحقه في كلام ما، هو الكلام غير المباشر"³.

¹ رولان بارث: التقد البنيوي للحكاية، ت: انكون أبو زيد ، منشورات عويدات : بيروت. ط: 01. 1988 ص: 73.

² المرجع نفسه: ص: 85.

³ المرجع نفسه: ص: 09.

يعمد الناقد بشكل عام إلى مقارنة النص وإضاءته .. بأسلوب فكري وكتابي يتيح للقراء المتخصصين وجمهور القراء الآخرين أن يشاركوا في التجربة الأدبية وهو إذ ينطلق بفهمه النقدي للنصوص الأدبية من ثلاثة أقنيم هي:

- الكلام المنطوق ((قول المؤلف)).
 - والنص المراءغ ((المسكوت عنه .. الممنوع .. الممتنع .. المقموع .. الرمز .. ما بين السطور)).
 - والقراءة الفاضحة ((الكشف والتفسير والتأويل والتحويل)) .
- وهو إذ يفعل ذلك لا يستطيع التحرر من بعض التعميمات النظرية أو التملص من الخلفية التاريخية لكن لابد من الحذر من الإيغال والإسراف في التعميم الذي قد ينتهي إلى التقنين للإبداع والذي بدوره قد يبلد ويقولب التجربة الإبداعية.¹
- بين النقد والانثروبولوجيا:
- من خلال محاولة المقاربة بين هذين العلمين - إن صحّت التسمية - وجدت نقطتين أساسيتين ، يلتقيان فيها، وهما:

1. النقد الثقافي :

ونعني به قراءة الثقافة للبحث عن الأنماط المضمرة، التي تختبئ تحت عباءة الجمالي في النقد الأدبي، فالنقد الثقافي يعتمد على أدوات النقد الأدبي المعدلة تعديلاً ثقافياً.²

1ضمد كاظم وسمي: النقد الأدبي وإشكالية المعنى. منتدى هس الكتب الالكتروني. ت ن : 2009/02/07

س: 09:15

ت إط: 2010/03/06 س: 18:30.

http://majles.alukah.net/index.php 2 محمد حسين الناعني: في النقد الثقافي- Jun-06

2009 مساء 09:21

واضح أن النقد الثقافي ينطلق من الثقافة ككل، وكمنبت لكل أشكال التعبير من خلال تأقلم الإنسان مع محيطه والذي يسهل عليه عملية الإنتاج عامة ولا ضير في إدراج مفهومين للثقافة أحدهما
غربي
تعريف ادوارد تايلور: "الثقافة هي ذلك الكل المتكامل الذي يشمل المعرفة، والمعتقدات، والفنون، والأخلاقيات، والقوانين، والأعراف، و القدرات الأخرى، وعادات الإنسان المكتسبة؛ بوصفه عضوا في المجتمع"¹

وهناك تعريف آخر يخدم موضوعنا :

"الثقافة تنشأ عن روح الشعب وعن عبقريته، والأمة الثقافية تسبق الأمة السياسية وتستدعيها. وتبدو الثقافة كمجموعة من الفتوحات الفنية والفكرية والأخلاقية التي تشكل ميراث أمة ما، وتعتبر هذا الميراث متحققاً بشكل نهائي وهو يؤسس وحدتها" وهي كلمة فضفاضة، لكنها غالباً ما استخدمت بمعنى معياري. وخلع عليها مؤسسو علم الإناسة مضموناً وصفيّاً بحثاً. ولم يعد الأمر يتعلق، بالنسبة لهم، كما هو بالنسبة للفلاسفة، بقول ما ينبغي أن تكون عليه الثقافة، بل بوصف واقعها كما تبدو في المجتمعات البشرية.⁽²⁾

أما المفهوم العربي³ :

عند مالك بن نبي

الثقافة " هي مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لاشعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"

¹ المرجع نفسه.

² المرجع نفسه نقلا عن :دوني كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة /قاسم المقداد، اتحاد الكتاب

العرب، دمشق، 2002 ص. 19 و2

³ المرجع نفسه: في التهميشات أدرج الكاتب الكتابين .

و كذا د/حسين الصديق

"الثقافة هي مجموع المعطيات التي تميل إلى الظهور بشكل منظم فيما بينها مشكلة مجموعة من الأنساق المعرفية الاجتماعية المتعددة؛ التي تنظم حياة الأفراد ضمن جماعة تشترك فيما بينها في الزمان والمكان. فالثقافة ما هي إلا التمثيل الفكري للمجتمع، والذي ينطلق منه العقل الإنساني في تطوير عمله وخلق إبداعاته، فهي بهذا المعنى تختلط بالمجتمع فلا يمكن التفريق بينهما إلا في مستوى التمثيل، فهي بالتالي تحدّد هوية المجتمع في كافة أبعاده المادية والمعنوية"

بعد هذه الإطلالة على الثقافة ، نجد كلّ الباحثين يركزون على المكتسبات التي تجعل من السهل علينا أن ننسب أي إنتاج أو إبداع إلى جهة معينة (سواء مجتمع، بيئة، تاريخ...) .

ونعود بهذا إلى النقد الثقافي ؛ وما يجب الوقوف عليه هو نظرة د/ عبد الله محمد الغدامي إذ يقول:

في كتابه (النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية) : (النقد الثقافي يبين الأبعاد الاجتماعية والتاريخية لنص معين، ومدى تفاعله مع الثقافة، كما يربط بين البنية اللفظية والوضع الاجتماعي والفكري والثقافي فهو" فرع من فروع النقد النصوي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية مَعْنَى بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغته، ما هو غير رسمي وغير مؤسّساتي وما هو كذلك سواء بسواء. من حيث دور كل منهما في حساب المستهلك الثقافي الجمعي. وهو لذا مَعْنَى بكشف لا الجمالي، كما هو شأن النقد الأدبي، وإنما هم كشف المخبوء من تحت أقنعة) البلاغي/الجمالي)، وكما أن لدينا نظريات في الجماليات، فإن المطلوب إيجاد نظريات في (القبليات) لا بمعنى البحث عن جماليات القبح، مما هو إعادة صياغة وإعادة تكريس للمعهود البلاغي في تدشين الجمالي

وتعزيزه، وإنما المقصود بنظرية القبحيات هو كشف حركة الأنساق وفعلها المضاد للوعي والحس النقدي"¹

والحال أن هذا التعريف قد يصلح لأي من نُظُم الدراسات الثقافية المعاصرة، مثل الأنثروبولوجيا والتاريخ الاجتماعي واللسانية وعلم الاجتماع والدراسات الأدبية، ثم المدرسة التاريخية الجديدة بصفة خاصة، ولكن ليس النقد الثقافي في أي من مستوياته الشائعة اليوم.²

إذ يبنى النقد الثقافي عند الغدامي على نظرية (النسق المضمّر) — حيث أضاف عنصراً سابعاً إلى عناصر النموذج اللغوي عند ياكسون (المرسل، المرسل إليه، الرسالة، السياق، الشفرة، أداة الاتصال) وهو: (النسق) فتكون وظيفة الخطاب في هذه الحالة (نسقية) — وهو نسق ثقافي، وتاريخي، يتكون عبر البنية الثقافية والحضارية، ويتقن الاختفاء من تحت عباءة النصوص، ويكون له دور سحري في توجيه عقلية الثقافة، وذائقتها، ورسم سيرتها الذهنية والجمالية. وعليه فإن النقد الثقافي هو مشروع في نقد الأنساق، وهذا تحول جذري ونوعي يفترق فيه النقد الثقافي عن النقد الأدبي، بما أن الأخير معني بنقد النصوص، وهو بحث في جماليات اللغة وتوظيف للمجاز للكشف عن تلك الجماليات أهم خصائص النقد الثقافي :

• إبعاد الانتقائية المتعالية التي تفصل بين الإنتاج النخبوي والإنتاج الشعبي؛ فيقوم بدراسة ما هو جمالي وغير جمالي.

• كشف جماليات أخرى في النص لم يلتفت إليها من قبل.

• يعتمد النقد الثقافي على النقد الأدبي، ولا يقوم بدونه، فالنقد الثقافي مكمل للنقد الأدبي، لذا

¹ د/عبد الله محمد الغدامي، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، المركز الثقافي العربي، بالدار

البيضاء وبيروت، ط/2، 2001. ص84.: 83

² www.al-jazirah.com صبحي حديدي، إشكالية المستنّى ومطحنة التسميات 2007/03/12

أضاف د /الغذامي مستحدثات جديدة على النقد الأدبي، تطور منه لتجعل منه نقدا ثقافيا فعلا، ولم يتر النقد الأدبي، وذلك عكس ما دعى إليه من موت النقد الأدبي ليحل مكانه النقد الثقافي .
•الدخول في عمق النص بدلاً من النظرة السطحية.
•كشف القيم الفضلى والحقيقية للنص.
•تذوق النص بوصفه قيمة ثقافية، لا مجرد قيمة جمالية، وذلك من خلال عن الكشف عن الأنساق المضمرة في الخطاب الثقافي.
•الكشف عن حقائق تحيط بالنص وقائله، من معرفة الخلفية التاريخية للنص وقائله، وأهم المقومات التي أثرت في شخصية القائل.
•ربط العلوم الإنسانية بالأدب (علم الاجتماع — علم النفس — التاريخ) ثما يساهم في إثراء النص والساحة الثقافية.
•يرتبط النقد الثقافي بالعمل السياسي، فهو يربط عمل المثقف بالسلطة، والسلطة بالمثقف، ويدرس العلاقة المترتبة على ذلك.
•كشف حقائق متعلقة بالنصوص المهمشة من خلال إلقاء الضوء عليها، حيث يهتم هذا النوع من النقد بنصوص المعارضة، والأدب الشعبي، والأدب النسوي، ونحو ذلك.
•يتناول النقد الثقافي النسق المضمّر في الثقافات المحلية، للارتقاء بها وتسويقها إلى العالمية.
مهمة النقد الثقافي

"إن الذي نصبو إليه أن تكون مهمة النقد الثقافي الوقوف ضد هيمنة النموذج الوافد، لا ضد النموذج في ذاته. وأن يعطي للنموذج العربي الصحيح الأصل احترامه، وأن يتيح له الفرصة ليؤدي وظيفته الاجتماعية والأدبية، ولا نقصد هنا الوظيفة المغلوطة التي جلبتها أزمة الركود والجمود العربي، كما لا نقصد الوظائف المزيفة التي جلبتها أزمة تفريغ الذاكرة العربية من هويتها وملئها بالثقافة المضادة التي تسعى جاهدة لتحميل الماضي كل أوزار الحاضر، وتسقط على هذا

الماضي كل العور الذي أصاب الواقع العربي الحاضر من تسلط وقهر وإرهاب، ظنا أن هذا هو السبيل لدخول العولمة¹

إذن فالنقد الثقافي يتجاوز النص الأدبي كبنية لغوية لبحث عن الأنساق الثقافية المضمرة والتي قد تفيدنا بمعان أعمق من البنية اللغوية ؛ وبالحديث عن البنية ، تأتي النقطة الثانية في تقاطق النقد الأدبي مع الانثروبولوجيا، وهي البنيوية؛ وتمثل البنية الأدبية في الغالب لأفكار فلاديمير بروب وكلود ليفي شتراوس في البحث عن عناصر أساسية معقدة في القصص والأساطير التي ترتبط بطرق مختلفة لتنتج نسخاً عديدة للقصة الأصلية أو الأسطورة الأصلية . وتكون هذه العناصر الأساسية حاملة معانٍ كما هي الحال في الفرويدية والماركسية . وهناك تشابه مهم بين النظرية الأدبية البنيوية ونقد نورثروب فراي الذي يدين غالى الدراسة الانثروبولوجية للأساطير . بالإضافة إلى الأعمال الماركسية البنيوية . غير أن كل أعضاء هذه الحركة أنكروا كونهم جزءاً منها . و بموجب النظرية البنيوية في الانثروبولوجيا والانثروبولوجيا الاجتماعية ، يتم تقديم المعنى ويعاد إنتاجه ضمن ثقافةٍ ما من خلال ممارسات وظواهر ونشاطات مختلفة تؤدي عملها كنظام للتعبير . لقد قام كلود ليفي شتراوس في دراساته في خمسينيات القرن العشرين بتحليل ظاهرة ثقافية تشمل الميثولوجيا والنسب (نظرية المصاهرة وتحريم غشيان المحارم) . وبالإضافة إلى هذه الدراسات قدّم كتابات أكثر تركيزاً لغوياً حيث استخدم الفارق الذي قال به سوسير بين اللغة والتلاعب

¹ د/محمد عبد المطلب ، النقد الأدبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003، سلسلة

الشباب، العدد رقم 5.ص:93.

بالكلمات في بحثه عن البنى الذهنية الأساسية للعقل البشري قائلاً " أن البنى التي تكون القواعد المعقدة والخفية للمجتمع يعود أصلها إلى العقل وهي تعمل في دواخلنا بدون وعي منا 1 .

وبهذا نكون قد وجدنا بعض نقاط الالتقاء لنطعمها ببعض الإثباتات من ن عبد السلام السدي الذي يصف العلاقة:

"وما إن نتسلل بين علم التاريخ- وهو المدعى الانفراد بالبحث في الوقائع الوجود عندما تنتزل على محور الزمن الطبيعي- وعلم الاجتماع وهو الذي حوّل وجهة النظر من محور التسلسل الطبيعي إلى قبلة الارتباط الجماعي، نجد غمط جديد من المعارف هو علم الأجناس - الانثروبولوجيا- حتى تداعى إليه النقد مستسهلاً الخروج من ثنائيتين: جدل الزمن مع الأديب وجدل الأديب مع المجتمع. وتم الانسياب على مركب الإنسان من حيث هو جنس في الوجود قوامه النسق الرمزي، ودخل النقد بالأدب مختبر كيمياء الرموز."

² ويضيف هكذا بدا جوهر النقد الأدبي مورداً طيعاً ينقاد أمره لكل من أتاه فتوزع موضوع الدلالة بما لم يعد عليه بالفائض الذي كانت عشيرة النقد وقبائل الأدب ترتقبه، والذي أطال يد العلوم الإنسانية على لباب الأدب أن النقد لم يحسم أمره في ما إذا كانت غاية الغايات في أدبية الأدب مرهنة بمضمون دلالاته أم متعلقة بتركيب صياغته، ولا يفيدنا شيئاً كثيراً في حفرياتنا المعرفية أن نتسلق المركب السهل فنقول أنها هذا وذاك³.

ويبدو أن النقد الأدبي قد أعلن رفضه أن يظل في معزل عن تلك التطورات العلمية المتسارعة، وذلك من خلال انجذابه نحو الانفتاح عليها، والامتياح من معين مصطلحاتها ومفاهيمها

¹ البنيوية .. ونتاج المعنى ترجمة واعداد: ناطق خلوصي، منتدى تأخي الإلكتروني. 2007/06/28 . ت

إط: 2010/03/06.

² عبد السلام السدي: في آليات النقد الأدبي، دار الجنوب للنشر، تونس. 1994. ص: 20

³ نفسه: ص: 21

الثر، وتوظيف منطلقاتها ومقدماتها النظرية، ونتائجها المتوصل إليها في تجديد تصوراتها وأدواته، ولا سيما الجانب المنهجي منها؛ ولقد ساعده على ذلك اعتباره ساحة مفتوحة على جميع الطرق الرئيسة والجانبية، أو بحيرة تصب فيها مختلف الأودية والأنهار المجاورة. وهكذا، صرنا نجد طي الدراسات الأدبية سواء كانت نقدا أم تحليل خطاب، مصطلحات ومفاهيم مستقدمة من مجالات علمية دقيقة كالبيولوجيا والفيزياء والرياضيات، وأخرى من علوم إنسانية نسبية كالتاريخ والمنطق والأنثروبولوجيا وغيرها.

ونجد كلورد ليفي شتراوس من جهة أخرى، يقول: "من الثابت اليوم أن تداخل عناصر المناهج، وأدواتها المفهومية والمصطلحية، وقوانينها في مجالات المعرفة المختلفة، مسألة إيجابية مخصصة"¹ إن انفتاح النقد الأدبي على مختلف العلوم والمعارف لا ينقص من شأنه في شيء بل العكس، يمكن أن يسمح بتطويره وتحديثه وتجديده وفق المعطيات التي لا تفتأ تتغير، فالتقيد الأدبي وثيق العلاقة بكل العلوم المعرفية.

الخاتمة:

أعجبني مقولة لرولان بارث في كتابه التقيد البيوي للحكاية، يقول فيه:

"إن فعل الكتابة لا يتم دون أن يصمت الكاتب. فعل الكتابة كأن يكون الكاتب "خافت الصوت كاليت"، أن يصير الإنسان الذي رُفض له الإجابة الأخيرة. وأن يكتب يعني أن يهب منذ اللحظة الأولى، الإجابة الأخيرة للآخر"²

ثم يضيف قائلا: "أن ينتقل المرء من القراءة إلى النقد يعني أن يبدل رغبته، أي أن يرغب لا العمل الأدبي ذاته، وإنما كلامه الخاص وقد يعني هذا أيضا، أن تُرجع العمل الأدبي إلى رغبة الكتابة

¹ د. سعيد عبيد: النقد وجيرانه، منتدى الساخر الإلكتروني. 2003/06/09.

² رولان بارث: التقيد البيوي للحكاية، ت: انكوان أبوزيد، منشورات عويدات : بيروت. ط: 01. 1988

ثمّ يضيف قائلاً: "أن ينتقل المرء من القراءة إلى النقد يعني أن يبدّل رغبته، أي أن يرغب لا العمل الأدبي ذاته، وإنما كلامه الخاص وقد يعني هذا أيضاً، أن تُرجع العمل الأدبي إلى رغبة الكتابة المحضة، من حيث خرج هذا النتاج... و ليس التقّد أخيراً سوى لحظة في التاريخ، حيث نلج، تقودنا خلاله إلى الوحدة إلى حقيقة الكتابة"¹.

يبقى أن أقول ، رغم ضيق الوقت ، وبعض الظروف التي آلت دون أن أستطيع الإحاطة كلياً بالموضوع ، إلّا أنني حاولت جاهدة أن أمنح للقارئ رؤية في هذين العلمين ولو كان من خلال جمع آراء الآخرين .